

حلقتي ، وتضغط شراييني ، ولا تخرج أبداً سوى بجات متكسرة كمواء كاب
عجوز .. وطفت العن المعلم برعي .. كل ذرة من لسانني ، وقلبي ، وجسدي
كلها كانت تلمسه ، وكأن الغضب قد نزع البلادة عن ذهني فأنقلبت شعله من
البقطة المتحفزة . و كنت قد بلنت الحديقة العامة فاستويت على المقعد الحجري ،
ووضت ساقاً فوق الأخرى ، وسمت مواء قطة صغيرة ، ثم ساد السكون
فعدت اذكر مرة اخرى كل ما وقع لي في الصباح ...

بدا لي جسدي المنهوك يلهث كي يبلغ المصنع في الموعد تماماً ، وبسباتي التي
انزعها من في لالقي بها الى المعلم وهو يكيل لي الشتائم بصوت عال خشن
وانا جامد في مكاني لا اتحرك كي اكتسب رضاه ، وعندما صغمتني على قفائي
رنوت اليه وكأنني اشكره ، وكانت الآلة تنز ، وتجمع من حولنا الرجال
وانا انظر اليهم كالحيون الدليل .. لكم كنت مغفلاً . وانبريت اضحك ،
وعلت ضحكاتي ، وتردد صداها في الحديقة كلها ، ونبحتني الكلاب ...

وتحسنت جبوني بيدي ، وجعلت ابحت عنها حتى وجدتتها منزوية في الجيب
الصغير كورقة الفجل الذابلة ، فأخرجتها في لهفة ، ووضعتها بين شفتي ،
واشعلت عود الثقاب وادبنته منها ويدي ترعش من فرط السرور الى ان توهج
طرفها .. تماماً كما تتوهج الفكرة في نفسي الآن .. فقط ، وضحك من جديد .

وعندما اشرق الصباح كنت ازرع في الطريق وسط الطوفان لآخر مرة
في حياتي .. وتدافعت من حولي مواكب المارة ورأيت البعض يلوكون
الشطائر بسرعة آلية ، ولهثت معهم ، وتسلفت الترام وجريت بسرعة ،
واكث الكشري ودلفت من باب المصنع في الثامنة تماماً وألقيت تحيتي للمعلم
برعي في صوت عال يماثل صوته ، وبدا الرجل مغيباً فبادرتي بقوله :

يا صباح الزفت يا
وجه النحس ، وكدت ابصق
في وجهه وانا اجيب - زفت
على رأس الذين انجويك يا
برعي يا وجه الغراب
النوحى . وضحك الرجال
المساكين امثالني ، فزادني
ضحكهم تصميماً ،
ووجدت برعي يتقمع ،



ثم استحال وجهه احمر مثل بقعة من الدم ، واقترب مني بجسده الضخم وهو
يزوم كحيوان شرس ، فصرخت فيه وكاد الضعف يركبني مرة اخرى
فازدادت صرخاتي .. والرجال من حولي ، وبرعي يتقدم ، والآلة تنش ..
وبصرت بجوارري عموداً غليظاً من الحديد كنت استعمله لادارة المفتاح ،
فالنقطة ، ونوحت به في وجهه ، ولكنه تقدم وتقدم .. وعادني الغضب وفي
لحظات اهويت بالقضيب على رأسه الكبير ، فانثق منه الدم قانياً حتى خلت
انه يملأ المكان ... والنفث الى العمال فوجدتهم يمدقون في بيلادة ، والالة
تنز ازيزها المثير وكأنها تتحداني .. ولم امهلها فأخذت اعمل فيها بالقضيب
حتى خرست تماماً ثم اندفعت الى الخارج ..

وجرى الرجال من خلفي ، وجملوا ينادونني كي اتوقف ، ولكنني
كنت أحب الهرب بنفسي ، وأرغب عن الظهور ، فلم استمع اليهم .. حسبي
انتي انقذتهم ، وزاد صراخهم وسعيهم ورائي ، وتدافع الناس من
الشوارع القريبة فوقفت ، وطلبت منهم ألا يصفقوا أو يهتفوا ، فانا رجل
متواضع .. وخف الي العمال ورفعوني فوق اكتافهم القوية .. ثم
القوني على الارض ، واخذوا يدوسونني بأحذيتهم .. المجانين ، الاوغاد
لقد سردت عليهم الحقيقة ، ورسمت لهم الطريق ولكنهم لم يبالوا ..

وعندما جاء رجل البوليس ، كنت على وشك الانغاء ، وسمعت واحداً
من الحضور يقول : هذا مجنون يا جاويش ، وكانت هذه آخر كلمة وعينها
قبل ان يغمى علي ...

رؤوف حلمي

القاهرة

كان يجب أن اضع حداً لهذه المهزلة التي تدور أمامي ، ولذلك فقد
انفذت فكري الى النور عندما حان الوقت المناسب ، وانفجرت مراحل
نفسي كالبركان المروع المدمر ... في هذه الاثناء كنت ارقب الناس وهم
يدورون في المدينة ، يمارسون اعمالهم ، وتضطرم عواطفهم ، وتتلون
اخلاقهم في طريقة واحدة رتيبة ممل .. ولقد نجح التيار وجرفني ، وسحبني
الدوامة الدائرة ، فمشت بعض لحظات الجحيم داخلها ، اذبح حياتي يوماً
اثر يوم ، وتلثت أنفاسي حتى تنقطع مع اللاهثين ، وازاول ما اقوم به
من عمل بين صخب الرجال ، ولعنات صاحب العمل التي كانت تزلزل
كبابي ، وتطويبي في قافلة الدمى المتحركة التي تعيش بلا إنسانية ، وبسلا
احساس ، وبلا شعور على الاطلاق .. كان الصراع يجتدم بين الجميع ،
والمعلم برعي ينشط بيننا بجسده العليل الغليظ ، وقد تهدل شارباه من كثرة
ماعث فيها بأصابه فيسبنا بصوته الاجش العالي ، حتى يطغى على صوت الآلة
الكبيرة التي تربطنا اليها ، وكان علينا ان نظل أمامها طيلة النوبة لا نتحدث أو
نشمل لفاة .. وفي الصباح كنت احس بالاختناق ، وانا أعبر المزلة التي
أعيش في دار من دورها ، وتوص قدها وسط الطين الرابك والاطفال حتى
أصل إلى مقبي الحاج شلبي لأحسو كوبة الشاي ، واغفو قليلاً عما يحيط
بي ، فانه من الصعب ان اظل في يقظتي ، وأنا أبصر الجميع يتسابقون من
حولي ، ويضربون في الطريق بسرعة مقبته تسبب لي الفتيان .. كان الاولاد
يحملون كتبهم ، ويسعون الى المدارس كالأرانب المفزوعة ، وفي الترام
كان الرجال يتزاحون ، ويدوس بعضهم البعض الآخر . وقد رأيت مرة
رجلاً يتعلق بسترة آخر فيوقمه على الارض ، ويسقط هو فوقه ، وعندما
قاما تبادلوا البسمات ، وتطوع ثالث ليقول « حصل خير » ثم استبق الثلاثة

ليأخذوا بالسترام . كنت
ابرح المقبي ، وأعبر الطريق
من نفس المكان الذي
عبرته منه آلاف المرات ،
وسرعان ما تبتلمي الجوع
وأنيه وسط الناس الكثيرين
حتى أصل الى المصنع في الوقت
تماماً قبل نوبة العمل بقليل

الآن

وامر بالجزار وبائع الفطائر وعربة الكشري المزينة بالكتابات والنقوش ..
نفس العربة ، والرجل البائع يقف بجوارها يترع الصحف بجبات المكرونة
ويقبض القروش في كفة كالوصحة السوداء .. وكثيراً ما فكرت لماذا آكل
الكشري ، ولماذا اعبر الطريق من نفس المكان ، ولماذا أصل المصنع
لكن الاجابة لم تكن تواتيني .. فالفكرة لم يتوقد بها ذهني ولم تستول
على تفكيري ... وناذراً ما كنت افكر في حياتي ، فلقد تسلك البلادة الى ذهني
كخيوط عنكبوت ، وثمة بسمة مبتسرة كانت تنفجج بها شفناي وكنت
ابدو في مشيتي كاللازرة ، وانا احاول ان اقلد من حولي ، فأمشي كمامشون ،
واتصرف كمايتصرفون ، وكان يملو لي ان اترك قدمي تسيران بي على النحو الذي
تريدان ، ولكن ذلك كنت امارسه خفية بعيداً عن الجميع حتى لا يضحكوا مني .
و فجأة بدا لي الامر مضحكاً يدعو الى السخرية .. وقبل ذلك بأيام كنت
اتباع (الحسنية) مندبلاً مطرراً بالترتر من الفورية ، وكانت تسير بجاني
بقدها الحلو ، الذي احتوته الملاءة السوداء ، وقد أشرفت عينها في لمح حولة
عامرة بالحلب ، وكان قلبي يخفق عندها ذهناً الى السبنا ، وقضينا هناك وقتاً
ممتعاً . وطلبت انا كوباً من الشاي ، وأكلت هي سمطة . كان يبدو اننا
سانزوج ، وكانت الرغبة تملأ كل قلبي ، وأحببت ان تضميني وحسنية حجرة
واحدة ... وفي احلامي كنت اعيش في الجنة ، وارى عشتا الجمل التنظيف
في حارة أجسن من المزلة التي أعيش فيها ، ولكن الاحلام تمضي وتلاحق
ولا نستطيع تحقيقها على الاطلاق ... وفي امسية باردة عرجت الى الطزيق
الساكن الطويل . وكانت الظلمة قد صبغت المكان ، وتطارت الاضواء الملونة
من حول لافتات الحوانيت والملاهي ، وخذت خطوطها الثمبانية الملتوية ..
ومن داخل نفسي انبثت سباط حمراء تجرد اعصابي بقسوة ووحشية ، وبدا
وجهي مخمناً من النفط ، وكدت اصبح ، ولكن الصبغات كانت تتحسرح في